الفصل الرابع

السلوك السياسى وحركة السكان

لم تشأ هذه الدراسة أن تستقصى قواعد وصور السلوك السياسى فى القرآن الكريم ، فذلك مما يستحق مؤلفا خاصا ، ولذلك اخترنا لأغراض هذه الدراسة التمهيدية أربعة موضوعات هى مفهوم الأمة والقوم ، والحزب بمفهومه السياسى والقانونى والدينى والاجتماعى كأحد التنظيمات البشرية ، ثم الهجرة واللجوء وأخيرا قصة اليهود فى مصر واليمن ومضامينها السياسية والقانونية .

أولا : الأمة فى القرآن والمصطلح المعاصر

وردت أمة فى مواضع عدة فى القرآن الكريم تارة بمعنى الجماعة " ومن ذريتنا أمة مسلمة لك " (١٢٨ البقرة) " وجد عليه أمة من الناس يسقون " (٢٣ القصص) ، وأورد القرطبى والسجستانى معنى الواحد " إن ابراهيم كان أمة قانتا " (٢٠ النحل) وقال سبحانه فى زيد بن عمرو بن نفيل " يبعث أمة واحدة" ، وقد ترد بمعنى الدين " إنا وجدنا آباءنا على أمة" (٢٢ الزخرف) ، وقد ترد فى معنى رابع لتنصرف إلى الزمان "وادكر بعد أمة" (٤٥ يوسف) ، وقد ورد لفظ الأمة بمعنى أشمل فى قوله "إن الناس أمة واحدة"(٢١٣ القرة) "وكنتم خير أمة" "وكذلك جعلناكم أمة وسطا" ، وقوله "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد" ، "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة" ، فانتساب الناس جميعا إلى أمة واحدة هى شجرة الإنسانية وأصلها آدم وحواء فالأمة هنا تعنى الجنس البشرى ،

وماقوله تعالى "كنتم خير أمة" إلا إشارة إلى الأمة الإسلامية ضمن الأمم الأخرى التى تشرفت بالرسل والأنبياء فالأمة هنا أساسها الاتحاد فى الرسالة أو الدين ، فهناك الأمة المحمدية والأمة الموسوية أو اليهودية أو الأمة المسيحية أى المنسوبة إلى المسيح عليه السلام ، فالأمة الإسلامية التى يجمعها الإسلام رغم تفوت الأعراق واللغات هى أمة وسط فى منهجها وليس فى ترتيب وجودها التاريخى ، لأن الإسلام هو

دين الوسطية بين الإغراق فى المادة فى الشريعة اليهودية أو الإغـــراق فى المعنويات كما هو حال المسيحية ٠

والأمة بالمعنى الأشمل فى صورتيه الإنسانى العام ، والأمة التـــى تجتمع على دين معين ، هو المعنى الذى يتصل بالدراسة المقارنة بيـــن مفهوم القرآن الكريم ، والمفهوم السياسى والقانونى المعـــاصر ، حيـث تبتعد عنه مفاهيم الأمة الجزئية أو المفهوم الذى ينصرف إلى القوم مـــن بنى الإنسان أو المخلوقات الأخرى ، أو معنى الطائفة فى قوله "وقطعناكم فى الأرض أسباطا أمما، وهو وصف منحصر فى بنى إسرائيل" ٠ وقـــد أشار القرآن الكريم إلى أساسين فى تكوين الأمم وهما إما الانتساب إلـــى النوع تمييزا له عن بقية الأنواع والمخلوقات الأخرى ، أو الانتساب إلـــى دين معين فتكون الأمة هى جماع معتنقى هذا الدين ومن ثم يصبح اليهود أمة ، كما يصبح المسيحيون أمة مثلما هو حال الأمة الإسلامية ٠

أما لفظ الأمة فى **المصطلح المعاصر القانونى والسياسى** فيقـــف مقابل مصطلح الشعب ومصطلح الدولـــة وهـــى مصطلحـــات سياســـية واجتماعي وقانونية حديثة ٠ فكلمة الأمة شاعت فى أوروبا فـــى القـــرن التاسع عشر فى إطار حركة القوميات وكانت تنصرف أساسا إلى ســـعى الأمم إلى تشكيل دولة خاصة بها وكانت كلمة القومية تعنى تحول الأمـــة إلى دولة فى الوقت الذى توزعت فيه أبعاد الأمة بيـــن دول متفرقـــة ٠ ونحن نعلم أن مصطلح الدولة قد نشأ فى أوروبا فى بدايـــات العصـــور الحديثة مقترنا بمفهوم السيادة الداخلية والخارجية وذلك فى إطار تحـــول

المجتمعات الأوروبية من النظم الإقطاعية فى العصور الوسطى إلى نظام الدولة القومية الموحدة وكذلك فى الوقت الذى انحسم فيه الصراع بين رجال الدين والأمراء والنبلاء والملوك لصالح الملك الواحد على دولة واحدة ذات السيادة بوجهيها ورمزها الملك رأس الدولة . فكانت الحركات القومية محاولة لتكريس سلطان الشعوب بمعنى ما فى مواجهة تطرف مفهوم السيادة الداخلى المكرس فى يد الملك وهى بمعنى ما امتداد للتيار الديمقراطى الذى بدأ فى أوروبا منذ بدايات القرن الثانى عشر . ومن ناحية أخرى فإن الحركة القومية فى أوروبا قد استهدفت توجيه أشتات الأمم وخاصة الأمة الألمانية التى توزعت بين ١٣٠٠ إمارة وكذلك الأمة الإيطالية التى عانت منذ العصور الوسطى من التفتت والصراع وهو ذات الشاغل الذى اهتم به مكيافيللى فى كتابه الأمير فى منتصف القرن السادس عشر . أما مصطلح الشعب والذى ورد فى القرآن الكريم لكى يشير إلى أقسام الإنسان "وجعلناكم شعوبا وقبائل" وهو عند علماء الاجتماع مجموع سكان الدولة بصرف النظر عن أعراقهم أو ثقافاتهم . فإذا عدنا إلى مصطلح الأمة وهو مايهمنا فى هذه الدراسة فإن علماء الاجتماع قد اختلفوا فى مقومات الأمة ولكن الاتفاق بينهم على عدد من العوامل التى تكون الأمة وهى اللغة والثقافة والروح والآمال المشتركة مع ملاحظة أن هناك أمما قد لاتتفق فى اللغة بسبب اغتراب جزء منها كما يكتسب هذا الجزء ثقافة البلد الذى يعيش فيه دون الثقافة

المشتركة التى تجمع أفراد الأمة ومن أمثلة ذلك الأمة الفلسطينية والأمة الكردية وغيرهما.

وهكذا يختلف مفهوم الأمة فى القرآن الكريم الذى يقوم على أساس الدين عن مفهوم الأمة المعاصر الذى يقوم على جماع أسس أخرى قد يكون من بينها الأصل العرقى. ولذلك عندما أعلن اليهود أنهم أمة مهما تقادم عليهم العهد وتقطعوا فى الأرض اعترض جانب كبير من الفكر السياسى العربى القومى على إدعاء الأمة أو القومية لليهود على أساس أن اليهودية دين بينما الدين فى نظرهم ليس سوى أحد عناصر الأمة أو القومية ، فضلا عن أن قيام الأمة على الدين هى نظرة عرقية تحيزية تجعل أصحاب اليانات أمما متناحرة .

ولا شك أن هذه النظرة قد تأثرت بعاملين من الفكر العالمى ، العامل الأول هو أدب التيار القومى فى أوروبا فى عصر القوميات وبشكل خاص نظرية رينان فى فرنسا التى استبعدت الدين من مكونات الأمة وأما العامل الثانى فهو المتأثر بالتيار اليسارى الذى لم يكن يتعاطف مع عنصر الدين كأحد مكونات الأمم ناهيك عن التيار الشيوعى الذى كان يعارض فكرة الأمة أصلا بوصفها من بقايا الفكر البرجوازى الرجعى ولم تكن النظرية الشيوعية تعترف بسوى أمة العمال أو بمعنى أدق أمة الطبقة البروليتارية.

وقد أدى الاختلاف بين أساس الأمة فـــى القـــرآن والاصطـــلاح المعاصر إلى اختلاف مماثل بين الداعين إلى قيـــام الأمـــة الإســـلامية والقومية الإسلامية على أساس أن وحدة الدين تجـــب وحـــدة العوامـــل الأخرى التى تتقاطع مه ، بينما يستند الفكر القومى العربى على مجموعة العوامل التى تتشابه فيها الشعوب العربية دون تركيز على عامل الديـــن حتى يستظل بظل هذه القومية أبناء الديانات الأخرى .

ولاشك أن انتهاء عصر القوميات فى أوروبا ثم انتـــهاء عصـــر الأيديولوجيات السياسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتى قد أفسح المجال أمام صحوة عارمة للحركات القومية والعرقية على السواء ، ومن ثم يمكـــن فهم تجدد الخلاف بين الوطنية والقومية سواء القائمة على الدين أو علـــى غيره من العوامل الأخرى فى إطار المرحلـــة الراهنـــة . ولاشـــك أن صحوة التيارات القومية والعرقية تهدد فكرة الدولة وهيبتها ودورها فـــى النظام الدولى خاصة وأن الفكر السياسى الحديث الـــذى يوســـع دائـــرة المجتمع الدولى على حساب المجتمعات الوطنية قد أثر على فكرة السيادة لصالح المجتمع الدولى وبذلك تعددت العوامل التى تهدد الدولة وتضغـــط على وجودها مما أدى إلى انهيار بعض الدول فى المناطق الحرجة مثـــل ألبانيا ، الصومال وليبريا وغيرها .

ويقوم التناقض بين القوميات التى تريد التحول إلى دول وليس بين الأمم كحقيقية اجتماعية أو سياسية أو تاريخية أو دينية ، ولا ضير من أن ينتمى الشعب الواحد إلى عدد من الأمم فى وقـــت واحـــد إذا توفـــرت

مقومات ومكونات كل منها ، لأن هذه الأمم حقائق قائمة ، فلاشك في وجود الأمة الإسلامية القائمة على اتحاد الدين مع اختلاف العوامل الأخرى جميعا ، وفي وجود الأمة العربية ، ولاتناقض بينهما بل على العكس تتكامل الأمتان من حيث إن العروبة سبقت الإسلام واحتضنته وصاغت من هذا المزيج الحضارة الإسلامية العربية التى اتسع صدرها لمن أسلم من أبناء البلاد المفتوحة .

وإذا كان القرآن الكريم قد أفصح عن انتماء أبناء الأمة إما للجنس البشرى فى إجماله أو إلى دين معين كأساس للأمة ، فإنه لم يتبعد قيام الأمم على أسس أخرى بدليل إشارته إلى الأجناس الأخرى على أنها "أمم أمثالكم" وهذه الأمم لا تقوم قطعا على تفاوت الأديان وإنما على اتحاد صفات وخصائص معينة جعلت منها أمما متمايزة ، وعلى ذلك لايجوز للتيار الإسلامى أن يغلق مفهوم الأمة على الإسلام وحده ، ولا على دين بعينه .

وإذا جاز للتيار الإسلامى أن يستند إلى الإسلام فى قيام الأمة الإسلامية ، فلا يجوز له أن ينكر على أتباع الديانات الأخرى كاليهود والمسيحيين قيام أمم على الأساس الدينى حيث يعلن اليهود أنهم أمة عرقيا ودينيا ، بينما لا يعلق المسيحيون ذلك بسبب فصل الدين عن الدولة فى أوروبا منذ بداية العصور الحديثة . وسوف يؤدى القول بقيام الأمم على أساس الدين وحده إلى استبعاد الطوائف الأخرى وانتسابهم إلى أقرانهم فى الدين فى أصقاع الأرض .

ومن ناحية أخرى فقد عمدت تيارات معتبرة وهي تؤكد الوحدة الوطنية والطابع القومي على التأكيد على الأمة المكونة من شعب الدولة المتحد في الأصل واللغة والتاريخ والعيشة المشتركة كالأمة المصرية والأمة العراقية والأمة الفلسطينية وغيرها ، ولكن الفكر القومي العربي يعتبر تلك نعرات قطرية تصرف الانتباه عن تحول الأمة إلى دولة واحدة فيما يعبر عنه بالحركة القومية مقابل الحركات القطرية أو الوطنية .

وأخيرا فتجدر الإشارة إلى أن بعض المشتغلين بعلم التفسير والحديث يتخذون منحى مختلفا عندما يتصدون لمقاربة المفاهيم القرآنية بالمفاهيم المعاصرة ونمثل لذلك باجتهاد د.عدنان محمد زرزور رئيس قسم التفسير والحديث بجامعة قطر في مقابلة بعنوان "بين الأمة والقومية" ولا نوافقه إلا في تأكيده على التمييز بين الأمة والقومية مخالفا معنا أنصار الفكر القومي وكانت إشارته لم يسندها إيضاح وتفسير .

وقد أشار القرآن الكريم إلى كلمتين مرتبطتين بمفهومي الأمة والشعب وهما القوم والملأ فقد وردت كلمة القوم تارة بمفهوم الطائفة أو جماعة الناس كقوم فرعون ، وتارة بمفهوم الأمة كقوم نوح وغيره من الرسل الكرام ، وقوله تعالى "إن فيها قوما جبارين" والغالب أن يكون القوم في القرآن محل ذم أو محل مدح وهو الأندر ، وقد حذر الله أن يبيد الأقوام المتمادية في صدر الرسل ويستبدل بها أقواما أي أمما أخرى . وقد وردت كلمة قوم بمفهوم الجماعة القليلة أو الكثيرة كقوله :"وتكونوا من بعده قوما صالحين" وقد تنصرف إلى الآحاد من الناس كقوله "فتبينوا

أن تصيبوا قوما بجهالة"(٦ الحجرات) وأطلق القوم على بنى إسرائيل "أن اخرج قومك من الظلمات إلى النور" "ومأأعجلك عن قومك يا موسى" .

وقد كثر ورود كلمة القوم على المعانى المتقدمة فى القرآن أكثر من مائة مرة . فإذا كان القوم هم أمم الأنبياء سواء من آمنوا أم ضلوا ، من صدقوا أو كذبوا فإن لفظة الأمة قد انصرفت كما ذكرنا فى السياق المماثل إلى المؤمنين فقط بالرسالات السماوية ، ولذلك جاز القول قوم لوط ، وأمة محمد ، كما يجوز القول قوم موسى عندما كان الجدل حول الإيمان لايزال قائما ، أما من آمن منهم فقد أصبح أمة موسى ، **فإذا صح هذا النظر ونرجو له كذلك** ، يكون القوم فى القرآن مفهوما اجتماعيا يرادف الشعب بينما الأمة مفهوم دينى ترادف الرسالات وتتمشى معها . وقد أكد القرآن صراحة أن الله أرسل أنبياءه إلى أقوامهم يخاطبونهم بلسانهم ولغتهم "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قوم" (١٤ إبراهيم) . **وأما الملأ** فهم جزء أو فئة من القوم حيث تكررت الإشارة إلى "ملأ من قومه" فى مواضيع عدة "قال الملأ من قومه" - قال الملأ الذين استكبروا" "قال الملأ الذين كفروا" . وكما ذم القرآن القوم فى أكثر مواضع ورودها ، فقد ذم "الملأ" فى جميع المواضيع إلا قليلا (مثل يوسف والنمل فقط) " يأيها الملأ افتونى فى رؤياي - قالت يأيها الملأ - قال يأيها الملأ ، والثلاثة خاصة بالملك فى قصة يوسف وبلقيس وسليمان على التوالى) .

وقـد وردت كلمة الملأ علىصور شتى وهى المـــلأ، ومـلأه ، وملئه ، وملئهـم • وقد تعنى القوم أيضا من مثل قوله" إلـــى فرعـون وملئه" • والملأ فى اللغة هى من ملأ وشايع ، أو القلة المعتبرة من القوم التى تملأ العين والأذن لصدارتها ، أو الصفوة وأهل الحل والعقد كما فى قول القرآن على لسان بلقيس "ياأيها الملأ إنى أوتى إلى كتاب كريـــم" ، وقوله تعالى على لسان ملك مصر زمن يوسف "ياأيها الملأ افتونى فـــى رؤياى" • وقد ترد لتعنى قسما من الخاصة الذين اختاروا موقفا سلبيا من قضية الايمان كقوله:"فقال الملأ الذين كفروا" وتوحى بأن هناك ملأ آمنوا وملأ كفروا •

واتصالا بما تقدم فقد وردت كلمة القرن لتعنى الأمة أو القـوم • ومثال القرن بمعنى القوم أو الأمة قوله تعالى :"وأنشأنا من بعدهم قرنـا" "ثم أنشأنا من بعدهم قرنا" (ولقد أهلكن القرون" " قال فما بـال القـرون الأولى " أى الأمم السابقة • وقد جاءت القرون والقرن دائما مذمومة فى القرآن •

ثانيا : الحزب فى القرآن

والمصطلح المعاصر

أولا الحزب فى القرآن الكريم :

وردت كلمة حزب وحزبه والحزبين والأحزاب فى مواضع عدة فى القرآن الكريم . ويمكن أن نقسم معانيها إجمالا إلى ثلاثة : المعنى الأول الحزب يعنى الفرقة أو الجماعة المؤلفة على أمر معين من ذلك قوله تعالى :"كل حزب بما لديهم فرحون" . ويقابل هذا المعنى معنى آخر فيكون الحزب بمعنى شيعته وأتباعه لقوله تعالى :" حزب الله وحزب الشيطان" فى آيات عدة .

أما المعنى الثانى فيقصد بالأحزاب الأمم أو الأقوام من مثل قوله تعالى "وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب" (ص: ١٣) . وكذلك "كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم" (غافر : ٥) .

وأخيرا وردت كلمة الأحزاب لتشير إلى الأحزاب التى تألفت ضد المسلمين فى غزوة الأحزاب أو الخندق . والأحزاب المقصودة هنا هى قريش وبنو عطفان وبنو النضير وأسد وسليم وغيرهم من قبائل العرب . وقد وردت "الأحزاب" بهذا المعنى الطبيعى فى قوله تعالى:" ولما رأى المؤمنون الأحزاب" (الأحزاب : ٢٢) ، وقوله تعالى:"ويحسبون الأحزاب لم يذهبوا"(الأحزاب : ٢٠) .

ثانيا : الحزب فى المصطلح المعاصر :

الحزب هو اصطلاح سياسى ينصرف إلى جماعة من الناس تنتمى إلى خط سياسى معين وتنضوى فى تنظيم اجتماعى يقره القانون ويشكل جزءا من النظام السياسى أو يشكل النظام السياسى نفسه ويعمل على تحقيق هذا الخط السياسى عن طريق تعبئة أعضائه وأنصاره والحصول على أسواطهم فى الانتخابات للتوصل إلى السلطة مشاركا لغيره أو منفردا بها • وتنقسم الأحزاب السياسية إلى أحزاب برامج أى يعرف الحزب ببرنامج سياسى مجدد ، كما قد يعرف الحزب بشخص معين فيندرج تحت مجموعة أحزاب الأشخاص والشائع أن أحزاب البرامج تسود فى الدول الديمقراطية العرقية • أما أحزاب الأشخاص فتسود فى الدول حديثة العهد بالنظام الديمقراطى وخير مثال على هذا التصوير هو ماكان يرده أنصار حزب الوفد المصرى للفترة الليبرالية السابقة على الثورة من أنه لو رشح الحزب لنجح دلالة على وفاء الناخبين للحزب بصرف النظر على شخصية المرشح وكفاءته لارتباطهم عاطفيا وسياسيا بهذا الحزب وإن كان يمكن أن تفسر العبارة من ناحية أخرى على الرضا بدليل علىأن حزب الوفد ينتمى إلى أحزاب البرامج•

والحزب هو الأداة الرئيسية لنظام لنظام الحكم السياسى سواء اعتمد هذا النظام على الحزب الواحد كما كان الأمر فى الدول الشيوعية السابقة والدول النامية ، أو اعتمد على أحزاب متعددة تطبيقا لفكرة التعددية الحزبية • والملاحظ أن الديمقراطيات العريقة تعتمد على

أحزاب رئيسية محدودة حتى تضمن جدية المنافسة ووضوح الفوارق بين هذه الأحزاب • ونحن نعلم أن جورج واشنطن مؤسس الولايات المتحدة الأمريكية كان قد أوصى الأمريكيين بتجنب التحزب أى كثرة الأحـــزاب حتى لا يتفرقوا بقدر عدد الأحزاب لأن الشعب الأمريكى لم يكن له هوية أمريكية واضحة وإنما كان تجمعا لأشتات من الدول الأخرى ورغم هـذه النصيحة فقد تأثرت القرارات الأمريكية بهذا التنوع والانتماء الاجتمـاعى للمجتمع الأمريكى • وتطبيقا لما تقدم لا تزيد الأحزاب الرئيســـية فـــى الولايات المتحدة وبريطانيا عن حزبين • وفى بريطانيا يســـود حزبـــان أيضا هما العمال والمحافظون ويتناوبان سدة الحكم ويزداد العدد قليلا فى دول أخرى مثل ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وغيرها •

أما فى الدول النامية فرتفع العدد إلى أرقام فلكية حيث قدر عـــدد الأحزاب فى الجزائر بحوالى خمسين حزبا ، ويوجـــد فـــى مصـــر ١٥ حزبا، وهكذا فى باقى الدول حديثة العهد بالنظام الديمقراطى •

والحزب عادة مدرسة متكاملة للتربية السياسية والثقافيـــة • وقـــد نشأت الأحزاب فى الدول الديمقراطية نشأة متواضعة فـــى البدايـــة ثـــم تطورت هذه الأحزاب كلما نضج المجتمع وزاد اعتقاده بأهمية الحـــزب السياسى ولذلك عنيت الدول الديمقراطية بوضع الضوابط اللازمة لسلامة أنشطة الأحزاب وعدم انحرافها عن مقاصدها • أما فى الدول النامية فإن الأحزاب تتشابه برامجها وتتعثر خطواتها ولا تقوم بدورها المطلوب فـــى إثراء الحياة السياسية •

ثالثا : الهجرة واللجوء

فى

القرآن الكريم والمصطلح المعاصر

وردت كلمة الهجرة فى مواضع قليلة فى الكتاب الكريم كمثل قوله تعالى :"من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه". ثم وردت كلمة المهاجرين فى صدد الحديث عن المسلمين الأوائل الذين هاجروا مع الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، ويكون التقابل مألوفا بين المهاجرين والأنصار الذين ناصروهم ونصروا دعوتهم .

والهجرة تقترن حتما باللجوء إذا كانت هجرة إجبارية ؛ بل إن كلمة اللجوء تنوب عن الهجرة لأنها تنطوى على فعل المهاجرة من وطنه واللجوء إلى وطن آخر غير أن اللجوء قد ينفصل عن الهجرة فى حالتين هما إذا كانت الهجرة اختيارية والحالة الثانية إذا لم تكن الهجرة من بلد إلى آخر وإنما انتقال مادى Physical داخل البلد الواحد ولكن إلى ملجأ يقى اللاجئ مخاطر المطاردة التى ألجأته إلى الهرب .

والحق أن الهجرة الإجبارية والاختيارية يحتملهما النص القرآنى فقد ينتقل الفرد مضطرا إلى مكان آخر اعتصاما بدين الله أو سعيا إلى

نصرته فى المكان الآخر وله ثواب ماأجبر عليه من فراق بيئته وأهلـه ، أما من أجبر على الهجرة من وطنه طمعا فى كسب الدنيا فحظه ما قسمه الله له فيه وليس له فى الآخرة ثواب . كما قد تكون الـهجرة اختياريـة لأحد هذين الأمرين أيضا ، ولا فرق بين الهجرة الاجبارية والاختياريـة فى هذا المقام . وهجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلـى المدينة تجمع بين الطابعين الإجبارى والاختيارى ، فهى إجبارية حيـث ضاق المسلمون بكيد قريش ومطاردتهـم وسعيهم إلى القضاء على الدين فى مهده وقبل أن يشتد عوده ، كما أنها اختيارية إذا اعتبرنا أن نقل الدين الجديد إلى بيئة أخرى يترعرع فيها كان قرارا صائبا ، مالم تكن الـهجرة قرارا من الله لرسوله فى لحظة قـدر فيها لهذه الدعـوة أن يتـهددها الفناء ، فلم يكن عنها محيص ، ولم تكن الاستجابة للقرار إلا إذعانا لأمر الله فى شأن من شئون دين الله - والمهاجرون من مكة هو لاجئون إلـى المدينة ولكن القرآن احتفظ لهم باسم المهاجرين - لثلاثة أسباب - الأول أنه شرف لهم فى تاريخ الدعوة أن يتركوا ذويهم وأموالهم ووطنهم هجرة بدين الله والسبب الثانى أن كلمة المهاجر تحتفظ عليه كرامة مـن كلمـة اللاجئ ، والسبب الثالث أن الهجرة كانت واقعة تاريخية محدودة المـدة (سبعة أعوام فقط) حقق فيها المسلمون أروع انتصاراتهم وبنوا فيها أولى لبنات دولتهم الشاسعة وكان الله يعلم قطعا أن فتح مكة آت لا ريب فيـه فى العام الثامن من الهجرة ، وأن عمر الهجرة بالنسبة لتاريخ الصـراع مع كفار مكة قصير غلب على صفته اللجوء ، وحيث أصبحت المدينـة

قلعة الاشعاع الإسلامى وليس مجرد ملجأ لاذ به المسلمون طلبا للحماية والطلب فى إثرهم ولذلك لا يصح أن نطلق على المهاجرين لفظ اللاجئين لعدم اكتمال عناصر اللجوء وللاعتبارات السابق إيضاحها ٠

الهجرة فى المعنى المعاصر :

أدت انتقالات الأفراد عبر الحدود بعد تقدم وسائل المواصلات واستقرارهم فى بلاد المهجر إلى نشوء قواعد القانون الدولى للهجرة ونشأة المنظمة الدولية للهجرة لتعالج مشاكل المهاجرين فى بلد المهجر ٠ والمهاجر هو الذى يغادر بلده الأصلى طوعا إلى بلد آخر يتوفر فيه مايسعى إليه ويفتقده فى وطنه ولذلك تفرق اللغات الأجنبية بين هجرة الفرد لوطنه emigrate ووصفه كمهاجر immigrant ٠ وقد اتسعت ظاهرة الهجرة بحيث نظمتها تشريعات الدول المختلفة فقد كانت بعض هذه الدول تعتبر ترك المواطن موطنه إلى بلد آخر خيانة تستحق العقاب ، فأصبحت سياسات هذه الدول هى تشجيع الهجرة حتى يكتسب المواطن فى مهجره مايفيد به وطنه وتقدر بعض الدول مهاجريها جزءا من رأسمالها الوطنى ٠

وفى إطار هذه النظرة الجديدة لمصالح المهاجر عمات التشريعات على تشجيع المهاجر والاحتفاظ له بجنسيته الأصلية والمكتسبة معا إذا شاء ولا يفقد عمله إذا تركه فى وطنه ، فضلا عن عدد آخر من الحوافز التى رصدتها التشريعات الوطنية للمهاجر ، كما عنيت هذه التشريعات

بتحديد معنى المهاجر الذى يتمتع بهذه التسهيلات والحوافز . وهكذا صار المهاجر مكرما بعد أن كان متهما ومذموما .

واهتم القانون الدولى بالمهاجر ، فتدخل لحمايته وتأمين حقوقه حتى لاتضيع بين وطنه الأصلى وبين بلد المهجر ، والمحافظة على هويته الثقافية والدينية واللغوية وغيرها ، وعلى قدر من الحقوق السياسية خاصة إذا كانت التشريعات تتشرد فى منحها للمهاجر وتضع لتمتعه بها قيودا وعراقيل ، كما يسقط بعضها هذه الحقوق عن مواطنيه بعد مضى فترة معينة قد لا يكون بعدها قد اكتسب فى بلد المهجر حقوقه فى ذلك البلد .

وهكذا صار ممكنا التمييز بوضوح بين المهاجر واللاجئ ، وهما صفتان تثبتان للشخص منذ مغادرته وطنه الأصلى ، بعد أن ظل الغموض واالبس يلف اصطلاح اللاجئ والمهاجر ، وكان يصعب التمييز بينهما خاصة إذا كان اللجوء اختيارا ، ورغم ماأوضحناه من أن كلا الاصطلاحين لا يتصادمان ولا يلتبسان ، من حيث إن مغادرة الفرد لوطنه هجرة ، واستقراره فى بلد آخر لجوء ، فالفرد الواحد يجمع بين صفتى المهاجر واللاجئ فى لحظتين مختلفتين .

أما اللجوء فى المعنى المعاصر فينصرف إلى الشخص الذى يفر من بلده خوفا من الاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو آرائه السياسية صوب بلد آخر يأمن فيه من الاضطهاد والقهر ، أو أن يفر الشخص من

بلده تحت وطأة الحروب الأهلية وتدهور الأحوال الاقتصادية ملتمسا فى البلد الآخر مافتقده فى وطنه ويترتب على هذه العناصر عدد من قواعد القانون الدولى للجوء التى تنظم العلاقة بين اللاجئ من ناحية وكل من بلده وبلد اللجوء وعلاقة بلده ببلد اللجوء بسبب لجوئه إليها ، وضوابط نشاط اللاجئ خلال مرحلة اللجوء ٠

وقد تضمن القرآن الكريم نصا لتأمين اللاجئ حتى لو كان كافرا وجمع فى هذا النص بين تقاليد الطنيب المعروفة عند العرب قبل الإسلام حتى لو كان عدوا أو مخالفا فى المعتقد ، وبين نوع الحماية والأمان المحدد بضوابط ثلاثة أولها أن يستجير المشرك بالحاكم المسلم أو بالفرد المسلم ، والاستجارة عادة طلب الحماية ورد مايخشاه الطنيب بحيث يلتزم المستجار به بتوفير الحماية اللازمة ، ويعتبر العدوان على الطنيب عدوانا عليه هو ، وثانيها أن الطنب لا يتحدد بوقت أو دفع مصدر معين للتهديد ، وإنما هو مرتبط بالوصول إلى المأمن أى المكان الذى يشعر فيه المستجير بعدم الحاجة إلى الطنب ، ولا بأس أن ينتهى التهديد بمضى وقت معين ، وأخيرا يتصل الضابط الثالث بمن الذى يضفى على المكان الآمن حنقته هذه والراجح أنه عنصر نفسى ينفرد به المستجير نفسه ٠

رابعا : مصر واليمن وبنو إسرائيل

فى القرآن الكريم

تعرضت دراسات عديدة لليهود فى القرآن الكريم ، ولكننى أود أن أعالج هذا الموضوع من زاوية أخرى . ويقصد ببنى إسرائيل فى هذه الدراسة يوسف وموسى عليهما السلام . ذلك أن صيتهما فى مصر أمر يثير العديد من القضايا ويلفت النظر إلى أمور تتطلب التأمل والتحليل من الزاويتين القانونية والسياسية .

فالملاحظ أن يوسف وموسى من بنى إسرائيل وهى جالية أجنبية عن المجتمع المصرى فما هو الوضع القانونى للأجانب فى مصر فى ذلك الحين ، وإجراءات العدالة فى قصة يوسف وطبيعة رسالته .

وإذا كان القرآن الكريم قد أكد أنه يبعث الرسل من أقوامهم فما مدى انطباق هذه المقولة على القصتين مع تسليمنا المطلق بأن الله يعلم أين يضع رسالته . ثم أن قصة موسى تثير المركز القانونى لهارون وطبيعة دوره الفريد فى تاريخ الرسالات ، وتعدد التكليفات لموسى فى مرحلتين مختلفتين ، وأساليب تنفيذ هذه التكليفات ، وتطور الجدل بينه وبين فرعون من مستوى الإله إلى مستوى إثبات أنه رسول من الله وماتكشف عنه القصة من بعض اللمحات القانونية والاجتماعية فى مصر

آنذاك ، والآثار التى أحدثتها رسالة موسى فى مصر بعد فـــراره منـــها خاصة فيما يتعلق بمن آمن به، وطبيعة الحاكم الإله فى مصر بعد ذاك .

أما علاقة بنى إسرائيل باليمن فقد تضمنتها قصـــة ســليمان مـــع بلقيس وهى الأخرى تثير الالتفات إلى صورة فريدة من صـــور نشـــر الرسالات والفتح وترتبط بطبيعة أنبياء بنى إسرائيل الملوك فـــى نفـــس الوقت .

فالملاحظ فى قصتى يوسف وموسى أنهما مجهولان فـــى حكـــم اللقطاء . الأول عثر عليه فى البئر والثانى عثر عليه فى اليم فلم يعـرف الذين التقطوهما أنهما غرباء مع اختلاف درجة الاقتراب حيـــث التقـــط يوسف فى زمام بلدته ثم بيع فى مصر والراجح أنه نقل من فلسطين إلـــى مصر بينما فر أهل موسى وأجداده من فلسطين إلى مصر هربا منـــها أو طمعا فيما كانت تتمتع به مصر من رغد العيش وبذلك تربى يوسف فـــى بيت من بيوت الرئاسة وهو عزيز مصر مثلما تربى موسى فى قصـــر فرعون وترعرع فيه دون أن يعلم فرعون أن موسى ينتمى إلـــى بنـــى إسرائيل الذين عمد فرعون إلى التنكيل بهم وقتل مواليدهم مخافة صدقـــة النبوءة التى أخبرت بأن نهايته على يد أحد مواليد بنى إسرائيل فى ذلـــك الوقت .

والراجح أيضا أن كلا من يوسف وموسى لم يصرحـــا بهويتـــهما وانتمائهما وإلا كان قد أثار ذلك القائمين على أمورهما من رجال الحكـــم

المصريين كما نلاحظ أيضا أن قصة يوسف لا تكشف لنا عن رسالة معينة ولا عن عداء بين بنى إسرائيل الذين كانوا لا يزالون فى فلسطين حينذاك وبين حكام مصر بينما تكشف قصة موسى عن الكثير من الأسرار السياسية فهى توضح لنا أن الجالية الإسرائيلية لم تكن محل ترحيب فى مصر وأن جو التوتر والشحناء كان يسود علاقة هذه الجالية بالملك الفرعون وأن هذا الملك كان يخشى أن يقوم باغتياله وضياع ملكه أحد الإسرائيليين ومع ذلك لم يعمد الملك إلى طرد الجالية وإنما استعاض عن ذلك بالتنكيل بها من قبل وسجن وتعذيب وسبى للنساء . وكان القانون المصرى مثله مثل قوانين ذلك الزمان لم تكن تقيم للأجانب حرمة ولا تحفظ لهم مكانة وتنظر إلى الغرباء نظرة الشك والحظر وإذا قارنا القانون المصرى فى ذلك العهد السحيق بالقانون الرومانى الذى جاء بعد قرابة ألفى عام لاتضح لنا أن القانون المصرى أخف وطأة أو على الأقل لم يشذ عن تصوير نظرة المجتمعات الوطنية إلى الأجانب خاصة إذا كان هؤلاء الأجانب لا يحفظون جميلا أو ودا أو فضلا لهذه المجتمعات كما كان شأن الجالية الإسرائيلية فى مصر .

فقد كان الأجنبى فى روما أو فى البلاد المفتوحة تحت سيطرتها يجوز استرقاقه كما يجوز قتله أو نفيه حيث كان يعتبر من طائفة العبيد الذين لا يتمتعون بالأهلية القانونية ويكفى أن نعلم أن إنشاء القواعد الدولية الخاصة بتقرير مركز موضوعى للأجانب هو وليد العصور الحديثة .

وقد صور لنا القرآن أن يوسف لم يتصل بأحد من بني طائفته مما يرجح أنه فى هذا العصر المبكر لم يكن لبنى إسرائيل وجود فى مصر كما أن السلطات المصرية اعتبرته لقيطا ولم تكن لديه أوراق تدل على هويته أو انتمائه . وإذا كان المجتمع المصرى قد نظر إلى بنى إسوائيل فى عهد موسى هذه النظرة المريبة فكان أولى به لو علمت شخصية يوسف أن يكون أشد قسوة معه حيث كان الفارق الزمنى بين عهدى يوسف وموسى كبيرا ، ومما خفف كذلك من نظرة المجتمع المصرى إلى يوسف فضلا عن طمس هويته التى لابد أن عزيز مصر قد يكشفها استنادا إلى لغته أو عاداته ولكان حريا به أن يعتبر جاسوسا أجنبيا فى بيته لولا أنه لحكمة إلهية تعلق به وأوصى امرأته أن تكرم مثواه وذلك على خلاف موسى الذى لم يتسرح فرعون فى انتشاله من اليم إلى وجوده ولعله أجبر على قبوله لضغط من وزوجته لحكمة إلهية أخرى . وليس من قبيل الصدف أن يكون فرعون وزوجته وكذلك عزيز مصر وزوجته من العواقر وأن ينظر كل من العاهلين المصريين إلى يوسف وموسى نظرة المتبنى وأن يكون لأحد الزوجين سلطان على الآخر .

فإذا كنا نعلم من القرآن أن امرأة فرعون كانت مؤمنة صالحة وأن تمسكها بموسى كان أحد أركان الرسالة الموسوية وبدونها لم يكن وجوده فى القصر ممكنا ، مما يعنى التقاء إيمان زوجة فرعون مع ظروف تهيئة موسى للرسالة ، فإن القرآن لم يخبرنا بأن عزيز مصر كان مؤمنا على خلاف زوجته وأنه تمسك بيوسف من منطلق إيمانى ولكن المفهوم أن

شخصية العزيز وتلهفه على الانجاب كان ضروريا لكي تكتمل قصة يوسف كما أن خروج زوجته على مقتضيات عاطفة الأمومة كان ضروريا أيضا لاعداد مسرح القصة . فالتقابل الحاد بين فرعون وزوجته كان يقابله تقابل هادئ بين العزيز وزوجته ولكننا نتحفظ كثيرا في فهم موقف العزيز ولا يجوز أن نقفز إلى اسباغ الإيمان عليه بمجرد أنه بعد أن تكشف له خطأ زوجته نصحها بأن تستغفر لذنبها كما رجى يوسف أن يعرض عن سقطتها .

وفي قصة موسى لقطات تستوقف القارئ والمتأمل . ذلك أن المهمة التي كلف بها يوسف قد تنوعت فكانت مهمته في المرحلة الأولى هي أن يدعو فرعون إلى عبدة الله وأن يصرفه عن طغيانه وهو قول ينصرف إلى جانبين الأول .. أن فرعون قد طغى وتمادى في تصرفه كإله على سائر رعاياه ، الجانب الثاني أنه تمادى في التنكيل ببني إسرائيل وبذلك كانت مهمته الأولى شاملة صيغت في بلاغة لقوله تعالى " اذهب إلى فرعون إنه طغى" ، وفي موضع آخر كلف موسى بأن يسعى إلى تخليص الجالية الإسرائيلية من بطش فرعون ولم يحدد النص القرآني مفهوم وحدود هذه المهمة هل سيتفاوض موسى مع فرعون لإخراج بني اسرئيل من مصر على افتراض أن هوية موسى بوصفه من بني إسرائيل قد كشفت وأنه ممثل"لهذه الجالية" أم أنه سيخلص الجالية والمصريين جميعا من فرعون ؟ يدلنا النص القرآني على وسيلة التنفيذ وهي غاية في الدقة إذ كلف موسى بأن يقول لفرعون في هذا الصدد

قولا لينا ، أى أن الأسلوب الدبلوماسيى وليس أسلوب المواجهة والصراع هو الذى حدده القرآن الكريم وكيف لا وأن موسى وطائفته بعض رعايا فرعون ، وهم قوم عزل مستهدفون للقتل والتشريد ، خاصة وأن موسى الذى خرج من قصر فرعون فى ظروف غامضة لم يكشف عنها القرآن ولا المفسرون القدامى والمحدثون • والراجح أن موسى خرج من القصر عندما أتته الرسالة لقوله "ولما بلغ أشده واستوى أتيناه حكما وعلما ••" •

والراجح أيضا أنه خرج من القصر فى ظروف ربما أحاطتها عوامل التآمر والنيل منه ودليلنا على ذلك أنه خرج من القصر خائفا يترقب ثم أنه خرج منه وقت القيلولة فى غيبة عن العيون " على حين غفلة من أهلها" • والدليل الآخر أنه تلقى من بعض خاصته والمقربين منه يوم كان فى سدة الحكم يفيد بتآمر القوم عليه لسببين الأول بتهمة المروق السياسى والخروج على نظام الحكم ، والسبب الثانى قتله أحد المصريين وتشبيعه لخصمه المصرى من بنى إسرائيل حيث نصحه بأن يغادر البلاد ولعله علم أنه سوف يغتال وهذا لا يجب أن يفسر على أن مصر فى ذلك الوقت لم يكن لديها نظام قضائى ولكن ماكان يحاك ضد موسى من مؤمرات سياسية هو أمر طبيعى لايزال يصدق على أيامنا فى معظم الأحيان • أما المرحلة الثالثة من التكليف فهى بعد خروجه من مصر وهو فى سيناء عندما ترك هارون ليتلقى تعليمات هذه المرحلة •

ومن الواضح أن مهمة موسى كانت بالغة الصعوبة والحساسية لأسبابا متعددة أولها أنه يواجه الفرعون الذى تربى فى قصره وله الفضل عليه ، وثانيها وأهمها أنه لأول مرة يتحدى أحد فرعون مصر الملك الإله فى أسس الشرعية السياسية للحكم . فقد كان ملوك مصر فى ذلك الزمان قد بلغوا مرتبة الآلهة بعد أن مروا بمراحل ابن الاله وظل الإله على الأرض وممثل الإله ثم نصف الإله ، وأخيرا الملك الإله . ويشاء الله أن يرسل موسى عندما بلغ طور الحكم فى مصر نهايته ومعلوم ما يتمتع به الإله من سلطان على الناس فى حياتهم الدنيوية والدينية . والسبب الرابع أن تحدى ملك مصر وإلهها ونظامها السياسى يأتى على يد أجنبى يحتقر المصريون طائفته ويستكثرون عليه ماأحاطه به فرعون من رعاية. ولعل موسى قد خرج فى اللحظة الذى أدرك فيها فرعون حقيقته ، ولذلك يبدو أنه كان مطاردا لأسباب متعددة كما رأينا وأن غضبة مستشارى الملك لم يكن يروى ظمأها إلا قتله غيلة وليس مجرد محاكمته مما نراه فى الرسالة الصريحة التى أبلغت اليه "إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك" ، وهى بالغة الدلالة على ماذهبنا إليه . وأما السبب الخامس فهو أن موسى مكلف بأن يسعى لدى الملك إما لتعديل سياسته تجاه بنى إسرائيل أو لإخراج بنى إسرائيل من طغيان الملك .

وهذه المهمة المعقدة نفسيا وفعليا للأسباب السابقة المتعلق بعضها بموسى وبعضها الآخر لفرعون وبعضها الثالث بطبيعة المهمة وببنى إسرائيل فى مصر . فقد أدرك موسى منذ البداية أنه مقدم على مخاطرة

محفوفة بالمخاطر وأنه لا يضمن نجاحها ولم يخف ذلك عن ربه عندما شرح له هذه المخاوف جميعا فحصل منه على ثلاثة ضمانات : الضمانة الأولى الترخيص له باصطحاب أخيه هارون والضمانة الثانية هى تزويده بوسائل الغلبة التى لم يدركها موسى فى حينه وهى العصا وإخراج اليد بيضاء من غير سور وآيات أخرى لم يوضحها لنا القرآن وإنما ذكر أنها تسعا تعلم منها اثنتين فقط • وأخيرا كانت الضمانة الثالثة هى تعهد من الله بأنه سيرعى مهمتها "إنى معكما أسمع وأرى" •

أما القضية الثالثة اللافتة للنظر فهى الجدل بين فرعون وموسى التى تكشف لنا عن عدد من النقاط المهمة :

١ – أن الجدل بدأ فى المرحلة الأولى بين فرعون وموسى حول إنكار موسى أن يكون فرعون هو الله ولم يكن واضحا أن فرعون قد صدم من هذا التحدى سوى أنه انقلب إلى التهكم على مقولة موسى عندما طلب من وزيره أن يبنى صرحا لعله يقنعه بوجود إله غيره • وقد لمسنا معرفة الله مسبقا بذلك عندما أمر موسى بأن تلتزم فى دعوته لفرعون جانب اللين والإيضاح والتبصير وهو طابع الرسلات جميعا لعل من توجه إليه الرسالة يهتدى إلى سابق فطرته فكأن الأصل هو الإيمان والكفر هو الانحراف عن هذا الإيمان إذ شددت رسالة موسى على أن هذا القول اللين قد يدفع فرعون إلى أن يتذكر أنه ليس إلها أو أن يخشى عاقبة العناد وصد الرسول •

ولم يتمسك فرعون فى جدله مع موسى طويلا بمقولة الإله ولم يطالبه ، فإن يثبت له صفات الإله المدعى وذلك فى نظرنا تسليم من فرعون من قريب بأنه ليس الإله الحق . ثم انتقل الجدل بسرعة إلى تحدى موسى نفسه فيما ادعاه من أنه رسول من الله. وطالب موسى أن يثبت صدق ادعاءه ولعل موسى قد فرح بذلك وأدرك لأول مرة حكمة تزويده بأدوات الإثبات فبادر بتقديم هذه الأدوات التى اعتبرها فرعون ألاعيب يبزغ فيها سحرته ، مما يظهر أن السحر كان بضاعة رائجة وأن المصريين كانوا سباقين فى هذا الفن .

ويضيف القرآن كيف أن السحرة المصريين أدركوا أهمية عملهم لفرعون ولإنقاذ نظامه السياسى وليس مجرد مسألة عقائدية فلجأوا إلى مساومة فرعون طالبين على الأرجح بوضع سياسى من مجتمع طبقى صارم لم يكن لهم فيه موضع قدم ، وأقرهم فرعون على طلبهم .

وقد صور فرعون اللقاء مع موسى تصويرا يضع القضية فى إطارها القومى على أنها صراع بين الوطنية المصرية والادعاء الأجنبى ومحاولة إفساد حياة المصريين والاتيان ببدع لا يقرها المجتمع المصرى وليس مستعد لقبولها .

٢ – أما عرض فرعون على موسى أن يختار موعد اللقاء الذى عرف بيوم الزينة وطلب سحرة فرعون أن يبدأ موسى بإلقاء عصاه ليس إلا من قبيل إظهار الثقة فى النتيجة وليس تأدبا من فرعون وسحرته .

٣ – عندما أدرك السحرة أن عصا موسى حية حقيقية بينما لم يزد عملهم على أن سحروا أعين الناس بفنونهم كانت النتيجة غير متوقعة رغم أن الهدف من اللقاء هو إثبات جدية إدعاء موسى النبوة • فكانت النتيجة صاعقة لفرعون وهى أن بادر سحرته بإنكار ألوهيته وسلطته والإيمان بما جاء به موسى وأخوه مما اعتبره فرعون تحديا لسلطانه•

واللافت للنظر فى هذا المقام أن فرعون قد انزعج ليس لإعلانهم الإيمان برب موسى وإنما لإعلانهم ذلك الإيمان قبل أن يأذن لهم به ولعله فى هذه اللفتة كان حريصا على ألا يفقد سلطانه على شعبه ، ولذلك وصف حركة موسى بأنها فتنة تهدف إلى إفساد المصريين وتغيير نظامهم المثالى وتحويلهم إلى نظام بعيد عن تقاليدهم وهذه قضية سياسية واضحة •

٤ – واذا كان الذين آمنوا بموسى هم السحرة أولا وهم من المصريين ، ثم تبعهم بعض بنى إسرائيل فإن معظم من خرج مع موسى من المصريين ومن ثم إذا كان لمن خرج مع موسى حق تاريخى فى فلسطين على أساس الفتح فلا يجوز أن ينفرد بنو إسرائيل بهذا الحق لأن من آمن بموسى خليط من المصريين ومن بنى إسرائيل ومن ثم فإن هناك فرقا بين بنى إسرائيل وهو مفهوم عرقى وبين اليهود وهو مفهوم دينى •

٥ – سبق أن أشرنا إلى أن تعقد مهمة موسى قد استوجبت عددا من الضمانات النفسية والحقيقية فضلا عن أنها تطلبت بناء على رغبة موسى أن يؤازره أخوه هارون ومن ثم يثور البحث حول الوضع القانونى لهارون عليه السلام وسبب ذلك أن الأنبياء جميعا كانوا إما أنبياء فقط أو أنبياء ورسل ولم يكن يشترك اثنان فى رسالة واحدة سوى الرسالة الموسوية فجاز لنا والأمر كذلك أن نبحث فى وضعية هارون . الذى يبدو لنا من القرآن الكريم أن هارون تصور موسى أن مهمته هى أن يشركه فى أمره كمهمة ثانية وأن يشدد به أزره كمهمة أولى وهى مهمة نفسية أوشحنا ظروف وملابسات طلب موسى لهما .

وقد منى الله عليه بعد ذلك لهذا الفضل الذى لولاه لما كان قادرا على القيام بهذه الرسالة ثم وردت إشارات إلى هارون بعد ذلك وهى إشارات قليلة فقد جاء التكليف فى المرة الثانية لكلا من موسى وهارون "اذهب أنت وأخوك ..." ، "اذهب إلى فرعون فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ... إنا قد أوحى إلينا ... قال فمن ربكما يا موسى .." .

ونفهم من السياق القرآنى أن مهمة هارون مقترة بمهمة موسى بشقيها وهما تحدة الوهية فرعون والثانية تخليص بنى إسرائيل من بطشه وقد فهمنا أن مهمة هارون ألصق بالشق الثانى من مهمة موسى وهذا منطقى لأن محاجاة فرعون فى ألوهيته هى صلب الرسالة الموسوية .

أما الشق الثانى فهو شق اجتماعى واسنانى مما يليق به طلب المساعدة والمساندة مثلما قام بذلك هارون ورغم تنبيه فرعون لقومه بأن موسى وأخاه ساحران يريدان أن يخرجا شعب مصر من أرضه بسحرهما ويذهبا بطريقتهم المثلى ، إلا أن موسى هو وحده الذى نازل سحرة مصر فى ميدان السحر وعندما ترك موسى قومه ليتلقى فى جانب الطور